# الدلالة الزمنية للأفعال في ضوء السياق دراسة تحليلية في القصيدة العربية الحديثة

# Significant time for action in the light of the context analysis in the Arabic poem

أ.م.د.إسراء حسين جابر    Assis. Prof. Dr. Isra Hussain Jaber
كلية القانون    college of Law
الجامعة المستنصرية    University of Mustansiriya

**ملخص باللغة العربية :**

إن خصوصية البحث تكمن في الوقوف على الإمكانات الزمنية التي تحظى بها الأفعال داخل السياق واثر التعالقات النصية في إفراغ الفعل من دلالته الوضعية ، وهو موضوع لم يلق الاهتمام المرجو من قبل الدارسين لذا طبقت تلك الخصوصية على النصوص الشعرية الحديثة لاسيما المتضمنة لمشاعر الغربة والحنين وذلك لما تشتمل عليه من أنظمة إبلاغ لسانية ذات طابع فعلي تأثرت بالتداخلات التركيبية ، فضلا عن تأثرها بكوامن الشاعر النفسية والفكرية .

إن الإمكانات الزمنية التي تحظى بها الأفعال لم تلق الاهتمام المرجو من الدراسات السابقة إذ جاء تركيزهم على الخصائص الزمنية الصرفية الكامنة في الأفعال وأهملت الأبعاد الأخرى،إلى جانب ذلك فان اللغويين والنحاة لم يخصصوا موضعا لدراسة الزمن بوصفه ظاهرة في اللغة العربية .

فقد قسم النحاة زمنية الأفعال إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل في حال الإفراد والتساوق وهو زمن فلسفي إذ يقول سيبويه : (( وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع ))(1) ، أي أن النحاة ركزوا على الزمن في صيغة الفعل وأهملوا السياق الذي ترد فيه .

وقد انتقد بعض الباحثين المعاصرين ذلك القصور بقولهم : (( كان على النحاة أن يدركوا أَن الأفعال مجرد صيغ وألفاظ تدل على زمن ما ، هو جزء من معنى الصيغة لا على زمن معين ، وان السياق أو الظروف القولية بقرائنها اللفظية والحالية هي وحدها التي تعين الدلالة الزمنية وترشحها لزمن معين ))(2) .

وتؤكد " د.سناء البياتي " في كتابها ( قواعد النحو في ضوء النظم ) أن البناء الفعلي يكتسب (( الاتجاه الزمني المناسب من خلال النظم ))(3) وهو رأي لا يختلف عما أكده " الجرجاني " إذ يقول : (( اعلم إن معاني الكلم كلها معان لا تتصور إلا فيما بين الشيئين ))(4) حيث نستشف من خلال القولين إن ما يتحقق من اختلاف بين الزمن الصرفي والزمن النحوي يتموضع بفعل تباين انتظام الفعل في السياق ، لذا توجهت عناية علماء اللغة المحدثين إلى إظهار ما يميز الزمنين ، مشيرين إلى أن للزمن (( النحوي وظيفة في السياق يؤديها الفعل آو الصيغة ... أما الزمن الصرفي فهو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق ))(5) ، أي أن الزمن الصرفي ما يدل عليه الفعل بطبيعة بنائه اللغوي أما النحوي فيلعب السياق دوراً فيه وذلك لان السياق يمثل (( القرينة الكبرى التي تحدد المعنى الزمني في استخدام الأفعال ))(6) ، بمعنى إن الفعل على المستوى النحوي يختلف عن مستواه الصرفي لان الزمن ليس ما تحققه الصيغة المفردة وإنما تحققه القرائن والسوابق واللواحق لان السياق يحمل من القرائن اللفظية والمعنوية ما يعين على فهم الزمن أي أن الزمن يحدده السياق .

ولأهمية الفعل في اعتماد الدلالة عليه لتضمن صيغه على الأزمنة المتعددة صرفياً في الماضي والمضارع واقتران هذه الأزمنة بحدث معين يجعله ذا تكوين ثنائي وبنائي ودلالي في التركيب ، فانه يعد مكوناً أساسيا (( للجملة الفعلية ... وهو محط الإسناد والاقتران ألزماني والحدثي ، فهو مركب نحوي دال على قيمة صرفية نحوية دلالية تنتظم بإحكام مع سمات المركبات النحوية الأخرى في الجملة أي الأسماء الدالة على الفاعلية والمفعولية ، ولذلك يرى فيه النحاة علاقة مقترنة بحدث وزمان في مقامات دلالية متنوعة ، وتقوم تلك العلاقة بالتميز

المعنوي ))[7] .

ويرى مالك المطلبي : (( أن الصيغ في اللغة العربية تخلو من الدلالة على زمن في المستوى الصرفي )) وان (( وقوع الصيغ المتغايرة في مستوى تركيبي واحد يعني تفريغ صيغة ما ، دون غيرها من الزمن إذ تشير إلى وجه من وجوه دلالتها الحديثة ، ومن هنا يكون من الخطأ إسناد الزمن إلى مثل هذه الصيغ بوصفها " شكلا زمنيا " لان الزمن يكتسب من قرائن السياق اللفظية والمعنوية))[8] .

ومن خلال ما ذَكر أجد أن هناك ارتباطاً بين الزمن الصرفي والنحوي إلا أن السياق هو الذي يضفي الدلالات الزمنية المختلفة على الأفعال .

وبحسب ما تفضي إليه الصياغة الشعرية فإنني أجده يتخذ موضعاً مهماً ضمن منظومة الإبلاغ اللساني للقصائد التي تحفل بالحنين والغربة والاغتراب إذ أن تجاوز الكلمات فيما بينها يجعل بعضها يكتسب من البعض الآخر دلالة إضافية لان (( ما يقوم عليه النص الشعري هو خلق دلالات جديدة يقتضيها تجاوز الكلمات وتأثير بعضها في بعض ))[9] .

وهنا لابد من القول : إن السياق الشعري يعتمد على مستويين من الأفعال وهي أفعال مرتبطة بذهن الكاتب وأفعال مرتبطة بلحظة التأليف الشعري ، بمعنى إن الشاعر وقبل أن يبادر في كتابة نصه الشعري يكون متنه مكتمل المعالم بمساراته وأفكاره وأفعاله المتسلسلة أي أن هناك زمناً يسبق لحظة الكتابة أما الفعل ضمن السياق الشعري فهو فعل يرتبط بالانحرافات السياقية والتوترات العاطفية والفكرية مما يؤدي إلى تداخلات بين ماضٍ يرتبط بذهن الشاعر وآني ومستقبلي يتعلق بمضمون السياق الشعري وهذا ما يحدو بالأفعال إلى أن تتخذ دلالة وضعية تختلف عن دلالتها الصرفية .

وتشتمل قصائد الغربة والحنين على أنظمة أبلاغية ذات طابع فعلي يشكل النسبة السائدة داخلها ، أي أن هناك عدولاً يتحقق على مستوى الصياغة التركيبية ، وذلك بفعل التعالقات السياقية التي تغير طبيعة الدلالة لان (( الفعل العربي

لا يفصح عن الزمان بصيغته وإنما يتحصل الزمان من بناء الجملة ، فقد تشتمل على زيادات تعين الفعل على تقرير الزمان في حدود واضحة ))[10] .

وتفضي القراءة المتأنية للنصوص الشعرية للشعراء الذين تضمنت قصائدهم الحنين والغربة ، أن هناك نمطين من البناء الفعلي منها ما هو ماضٍ ومنها ما هو مضارع وهذا من حيث الشكل ، ولكن دلالته الزمنية تختلفت على نحو لافت للانتباه ، لذا سنقف إزاء نماذج متباينة لنكشف عن التحولات الدلالية و الإفراغ الزمني للفعل فضلاً عن ثبوت الدلالة الصرفية لبعض منها :

فمثلاً نجد الفعل ( اضرب ) في قصيدة السياب وقد تحول من دلالته الآنية إلى الماضي المستمر وذلك في قوله :

مازلت اضرب مترب القدمين ، أشعث في الدروب ...

متخافق الاطمار ، ابسط بالسؤال بدا نديّة

صفراء من ذل وحمى ، ذل شحاذ غريب

بين العيون الأجنبية

بين احتقار ، وانتهار ، وازورار ، أو (( خطية ))

والموت أهون من خطية

من ذلك الإشفاق تعصره العيون الأجنبية ...[11] .

إن دخول الفعل الماضي الناقص المنفي ( مازلت ) على الفعل المضارع أفرغه من دلالته الوضعية ليكتسب دلالة أخرى فرضها النظم داخل السياق وهذا بالتأكيد يتعلق بدلالة النص وكأن الشاعر أراد توكيد وجود الفعل المأساوي المتمثل بالغربة وذل العوز واستمراريته .

في حين نقرأ في قصيدة أخرى للسياب :

سوف أمضي كما جئت واحسرتاه !

سوف امضي ومازال تحت السماء

مستبدون يستنزفون الدماء

سوف أمضي وتبقى عيون عيون الطغاة

تستمد البريق

والتماع الحراب

في الصحاري ، ومن أعين الجائعين

سوف أمضي وتبقى فيا للعذاب

سوف تحيين بعدي وتستعين

بالهوى من جديد(12) .

فالأفعال ( امضي ، يستنزفون ، تبقى ، تحيين ، تستعين ) تحولت دلالتها إلى المستقبل القريب وذلك بفعل دخول ( سوف ) عليها وكأنه يتوقع موته القريب وهي رؤية تحمل في طياتها اليأس في الحياة وتعكس غربة داخلية لاسيما حين لا يتصور أن يموت ويظل الطغاة يستنزفون دماء الفقراء ولا يتصور أن تعيش زوجته مع إنسان غيره ، وهو قلق لطالما راود الأدباء نذكر على سبيل المثال غابريل ماركيز الروائي الشهير فهو لا يخاف من الموت إذ يعدها مسألة فيزيائية بل يخاف من مرحلة الانتقال إذ يقول (( ما يقلقني هو إنني لن اعلم كيف ستسير الأمور بعدي ماذا سيصيب أبنائي مثلا ، هذا يحطم أعصابي ))(13) .

وتحقق بعض أدوات الشرط انحرافا على مستوى دلالة الأفعال الزمنية كالأداة ( إنْ ) التي يكون جواب الشرط فيها معلقا بفعل الشرط إذ يأتي زمانه مستقبلا محققاً

عقد السببية والمسببية في المستقبل ، فزمان الفعل هو الاستقبال حتى وان كان فعل الشرط ماضيا كما سنجده في مرثية البياتي الأخيرة :

كتبت فوق السور

مرثيتي الأخيرة

فأن مررت في غد أيتها الأميرة

بهذه الجزيرة

فلتأخذني وريقة من هذه الصفصافة

وريشة من طائر الخرافة

وقطرة من نور

إلى صحاري وطني المهجور

لعل خيل الفتح ، يا أميرتي على . ضياء الصبح(14) .

فلو تتبعنا السياق لوجدنا أن فعل الشرط ( مررت ) هو فعل ماضٍ افرغ من دلالته الأصلية الدالة على المضي ليكتسب الدلالة المستقبلية بفعل دخول أداة الشرط ( إن ) وبفعل دخول لفظة ( غد ) إلى السياق وهو بهذه الدلالة يحاول تأكيد حنينه الذي لن ينطفئ حتى وان فارقت روحه الحياة .

وفي موضع آخر نجده يوظف لأداة أخرى تختلف عن الأداة السابقة وهي ( لو ) التي تفيد عقد السببية والمسببية ألا أننا حين نقرأ احد نصوص البياتي على سبيل المثال لا الحصر :

آه من عري القفار

آه لو عدت إلى بيتي

لمزقت مكاتيبي وأوراق الغبار

ولعلمت الصغار

كيف أبحرنا على مركب نار(15) .

نرى أن الأداة ( لو ) التي اقترنت بالفعل الماضي ( عدت ) وهو فعل الشرط جاء جوابها متمثلا بالفعلين الماضيين ( مزقت ولعلمت ) اللذين عطف احدهما على الآخر حمل بها السياق لتحمل الدلالة المستقبلية لأنها عرضت في موضع التمني إذ جاء محملا بعبق الحنين والأمنيات والطموحات المستقبلية في العودة .

وقد أكدت بعض الدراسات الحديثة إن دلالة هذه الأدوات من حيث المضي والاستقبال لا تعد قانوناً ملزماً إنما دلالتها تتحدد من خلال السياق فمثلا نجد قول د.سناء البياتي التي تجد إن من التخبط أن تتحدد الزمنية في الجملة الشرطية وتعزوا ذلك إلى (( إن النحاة حددوا دلالة الزمن في الأبنية الفعلية خارج النظم وعندما وجدوا الدلالة الزمنية للأبنية داخل النظم مغايرا لما قرروه أشكل عليهم توجيهها ))(16) .

أما إذا تتبعنا الأفعال الواردة في السياق المقتبس من قصيدة الشاعر " نبيل ياسين " :

سأنتظرك مرة أخرى على الأرض

حتى تعودي فتجرين الماء في

الأنهار وتوقظي الثمر في الأشجار

وتطلقي التنهدات في الحجرات

سأظل بانتظار عودتك وأنا أقتفي

في البرية آثار الأسلاف واجمع ما

تساقط من أحمالهم من زمرد .[17] .

سنجد في النص ستة أفعال مضارعة( انتظرك ، تودي ، تجرين ، توقظي ، تطلقي ، اجمع ) قد يتوهم القارئ بأنها تحمل دلالة الحاضر ، إلا أن هنالك عدولاً أسلوبيا اخترق دلالة الأفعال الزمنية وذلك بفعل القرائن والتعالقات داخل التركيب فدخول( السين ) على الفعل ( انتظرك ) ودخول ( حتى ) على الفعل( تعودي ) ودخول الفاء على الفعل ( تجرين ) حولت دلالة الأفعال إلى المستقبل القريب أما دخول ( السين وظل ) حول دلالة الأفعال ( اقتفي ، اجمع ) إلى الزمن المستمر ، أي استمرار الحدوث وعدم التوقف وعليه فان النص عموماً يوجه دفته نحو المستقبل فالشاعر كما يوضحه النص مليء بالأمل والتفاؤل فخطابه الموجه إلى الوطن يعكس حنينه ورغبته المستقبلية في اللقاء أي أن هناك رغبة في حصول الفعل وتحققه .

أما " سعدي يوسف " فحين يتحدث في قصيدة ( ميت في بلد السلام ة ) عن الواقع المرير :

يا مَن هويت وأنت تحلم بالمواسم

مثل المسيح حملتَ سعفه

وبقيت طول الليل مصلوباً تحشرج دون رفّه

إنّا سواءٌ أيها الرجل العظيم

يا ميتاً لم ننسه يوماً ولن ننساه يوماً

يا حامل السنين ، ويا رباً مدمّى[18] .

فان السياق هنا لاسيما قوله ( لم ننسه ولن ننسه ) جاء بفعل أداة الجزم ( لم ) التي قلبت زمن الفعل المضارع إلى ماض وأداة النصب ( لن ) التي قلبت زمن المضارع إلى المستقبل وقد حمل دلالة الاستمرارية من الماضي إلى المستقبل لان

الأداتين ارتبطتا بفعل النسيان وهذا كما أراه له ارتباط بالجانب النفسي للشاعر الذي يتمثل بواقعه المرير الذي يربطه بواقعة صلب السيد المسيح ومدا مرارتها ومن ثم ثبوتها في الذاكرة وهذا ما تؤكده الدلالة الزمنية ضمن السياق .

في حين نجد الشاعر " محمود درويش " يعمد إلى توضيح مسيرة الإنسان الفلسطيني لاسيما اغترابه وتشتته ، وصولاً إلى عتبات التحول واكتشاف الذات لوعيها ، وذلك من خلال الموازنة بين الضياع والمواجهة ، لذا يحاول أن يعري الواقع من خلال ما يطرحه النص من أسئلة :

في كل شيء كان أحمد يلتقي بنقيضهِ

عشرين عاماً كان يسألْ

عشرين عاماً كان يرحلْ

عشرين عاماً لم تلدهُ أمه إلا دقائق في

إناء الموز

وانسحبتْ / يُريدُ هويةً فيصابُ بالبُركان ، ... (19)

فكما هو واضح فان هناك إرادة آنية تصر على تحقيق وجودها في الارتباط بحضن الأم وهي إرادة لم تتحقق إلا فترة قصيرة من الزمن ( إلا دقائق ... ) .

أما الوجود التاريخي فهو يمثل الغربة والضياع الحقيقي والمأساوي ، لذا تشيع في هذا المقطع صيغة المضارع قد ينظر لها من زاوية دلالتها على الحاضرة إلا أنها نظرة شكلية لان هذه الأفعال تحقق فيها عدول أسلوبي جرد الصيغة من دلالتها الزمنية إذ حولته من الدلالة على الحاضرة إلى الدلالة على الماضي وذلك في أربعة أفعال هي ( يلتقي ، يرحل ، يسأل ، تلده ) وذلك لان هذه الأفعال قد سبقت بالفعل الماضي ( كان ) وسبقت بالأداة ( لم ) ، أي أن مصاحبة الأفعال المضارعة للفعل الناقص هي السبب في إفراغ الفعل من دلالته ، فقد سرت إليه (( الدلالة الزمنية من

( كان ) فيدل حدوثه على انه حدث في الزمن الماضي ويتفرغ هو لإبراز الدلالة التي تميز بها ))[20] فالدلالة السياقية اقتضت المضي إلى جانب وجود معنى الاستحضار على المستوى الوضعي إذ جمع النص بين دلالتين المضي والحضور وهذا ما يسميه " فندريس " ( المضارع التاريخي وهو استعمال يشيع في السياق الحكائي إذ يجد فيه (( المثقفون سحرا خاصا ، يقولون بان الحاضر أكثر تعبيرا أو ابلغ حتى ليجعل المنظر يحيا من جديد أمام عيني القارئ ، ويرجع بفكرنا إلى اللحظة التي دار فيها الحدث ))[21] وعليه فإن دلالة الأفعال على المضي تتوافق مع دلالة النص التاريخية .

وحين نتأمل قول الشاعر " بلند الحيدري " الذي يؤكد دائما على وحدته في مجتمعه حيث يتأمل كنه الوجود ومأساة الإنسان الذي لابد له في وجوده وسيفنى أيضا بدون اختياره إذ نقرأ :

نامي

وخلّي الليل في مقلتي

ولم تعنين يا طفلتي

وبما أحوك الآن خلف الدموع

غداً إذا استيقظ فيك النهى

ولملمت عيناك

هذي الربوع

وجاوزت خطاك

باب الرؤى

فاصطدمت يألف روح صدوع

ستعرفين

الدهر في دمعتي

وسوف ترثين لهذا القطيع

يسير

لا يبصر إلا خطى

تطوى ربيعا

ثم تطوي ربيع

فليس من يقبض ظل السنا

وليس من يركض

خلف السراب

ودنياهم

سخرية جفت ... ويا للعذاب[22]

إن التعالقات التي ارتبطت بالسياق أفرغت الأفعال من دلالتها الوضعية فقوله ( غدا ) المرتبط بأدوات الشرط وحروف العطف حملت بدلالة الأفعال الماضية إلى المستقبل ( استيقظ ، لملمت ، جاوزت ، اصطدمت ) في حين جاء جواب الشرط المقترن بالسين ليحمل الفعل( تعرفين ) إلى دلالة المستقبل البعيد وسوف التي حولت الأفعال بعدها إلى المستقبل القريب وهذه التحولات الدلالية تكشف عن (( تصادم الأزمنة على مستوى البنية السطحية مما يدفع المتلقي إلى الانتباه والتفاعل مع النص ، ومحاولة إعادة التوافق بين صيغ الأفعال وأزمنتها في البنية العميقة )) [23] تتعلق بمعاني الغربة الاجتماعية والنفسية التي يحياها الشاعر في مجتمع القطيع .

ونرى في قصيدة الشاعر " صلاح عبد الصبور " غربة من نوع آخر تتجلى في الغربة الفكرية إذ تؤرق الشاعر مصائر الآخرين في مقابل قصور قدراته :

قد كنت فيما فات من أيام

يا فتنتي محارباً صلباً وفارساً همام

وكنت عندما أحس بالرثاء

للبؤساء والضعفاء

أود لو أطعمتهم من قلبي الوجيع

وكنت عندما أرى المحيرين الضائعين

التائهين في الظلام

أود لو يحرقني ضياعهم ، أود لو أضيء

ماذا جرى للفارس الهمام ؟

انخلع القلب وولى هارباً بلا زمام

وانكسرت قوادم الأحلام(24)

فهنا يتخذ الشاعر من السرد القصصي أسلوبا واضحا لعرض مضامينه الفكرية والنفسية والتي كان لها دور في تغيير دلالة الأفعال داخل السياق فقوله ( قد كنت فيما فات من أيام ... ) فضلا عن تكرار لفظة ( كنت ) تراكيب لغوية حولت دلالة الأفعال المضارعة إلى ماضية وذلك داخل المتن الحكائي ( أحس ، أرى ، أطعتم ، يحرقني ، أضيء ، انخلع ، انكسر ) في حين بقيت دلالة الحضور ضمن ذهنية الشاعر خارج السياق ، ولعل تلك الدلالة توافقت مع معاني الغربة الاجتماعية التي أفضت بمعاني التأزم الفكري وكانت مرحلة من حياة الشاعر التي تحولت فيها أفكاره إلى الإيمان بالواقعية الاشتراكية .

وفي قصيدة أخرى نجد الشاعر يورد متوالية من الأفعال المضارعة التي تفقد دلالتها الزمنية الوضعية بفعل السياق :

ألا يمضى زمن حتى تتمدد أجنحة الظلمة

تتكوم عندئذ في عينيّ المرئيات

تتقارب فيها الأجسام وتتلاصق

تتواجه ، تتعانق

تندمج وكوى في الأفق المغلق

تبدو كتل أخرى من أركان نائية جهمه

تتكور أجساما

تتكسر جسما جسما ، تتشكل هامات

قامات ، أذرعة ، أقداما

تتقدم نحوي حتى أخشى أن تصدمني

أتوقف ، لا أثرى ماذا أفعل

فأعود إلى شباكي(25)

إن المتتبع للأفعال الواردة في النص يجد أنها تحمل طابعا درامياً مشهدياً يبعث على الحركة والتصاعد ، هذا من جانب ومن جانب آخر نجد إن هذا الكم من الأفعال المضارعة افرغ من دلالته بفعل السياق إلى الماضي إذ أن ورود عبارة ( لا يمضي زمن حتى ... ) اكسب الأفعال ( تتمدد ، تتكوم ، تتقارب ، تتلاصق ، تتواجه ، تتعانق ، تندمج ... ) إمكانات زمنية تضاف إلى دلالتها فقد ارتبطت دلالة الأفعال بالسياق الذي تتوجه دفته نحو الماضي .

إن الشعور بالغربة لدى الإنسان يتولد على الرغم من عيشه بين آلاف الناس أو حتى الملايين (( فالكثافة العددية نفسها من شأنها أن تهبط بقيمة الفرد فيها إلى الحد الأدنى ، بل ربما قضت عليه تماماً حتى لا يعود سوى رقم من الأرقام ، ولهذا فان الشعور بالغربة هو أسرع شيء يتسرب إلى نفس الإنسان في مثل هذه الحالة ، ويزداد في نفس المرء حدة ، كلما كان المجتمع الذي يعيش فيه كثيف العدد ))[26] .

فالشاعر علي الشلاه الذي يجسد في قصيدته الغربة النفسية المنبثقة من الغربة المكانية يورد معالم الطبيعة بشكل مجرد وكأنها لم تعد جزءا منه وتتشبث في ذاكرته صورة البلد الحلم :

تتيه الوجوه ببوصلة لا ترى

وتضل القلوب

سأدعو تراب البلاد لكف حبيبي

وأدعو النخيل إلى شعره

وأسوق الفرات بلا ضفة

كي يتوب ...!

وداعاً ... لمسقط رأسي

وبيت الجروح

وأهلا بمسقط قلبي[27] .

فهو يجد نفسه وحيدا على الرغم من اجتماع الناس لذا يودع التاريخ المتمثل بمسقط رأسه ومدينته باحثا عن ذاته ، فالأفعال ضمن هذا السياق تحولت دلالتها من الحاضر إلى المستقبل بفعل تصدر اللفظ ( وتضل ) إذ تشترك الواو المرتبطة بالفعل

المضارع ( تظل ) الدال على الاستمرارية في تحويل دلالة الأفعال داخل السياق إلى المستقبل المستمر إلى جانب ورود ( السين وكي ) اللتان أكدتا دلالة المستقبل المستمر وكأن الإحباط والضياع الذي خلقته غربة المدينة سيبقى مستمرا ضمن رؤية الشاعر

أما في قصيدة ( حب وجلجلة ) لخليل حاوي التي يجسد فيها غربة المنفى نقرأ :

وأَنا في وحشَة المَنفَى
مَع الداءِ الذي ينتِرُ لَحْمي
ومع الصمت وإِيقَاعِ السُّعالْ ،
أنفُض النومَ لَعلِّي أَتَّقي
الكابوسَ والجِنَّ التي تحتلُّ جِسْمي
وإِذا الليلُ على صدري جلاميدٌ ،
جدارُ الليلِ في وجهي
وفي قلبي دخانٌ واشتعالْ ،
آهِ ربِّي! صوتهم يصرخُ في قبري :
تعالْ !!
كيف لا أنفضُ عن صدري الجلاميدَ
الجلاميدَ الثقالْ
كيف لا أصرعُ أوجاعي ومَوتي
كيف لا أضرعُ في ذلٍّ وصمتِ :
" رُدَّني ، ربي ، إِلى أرضي "
" أعِدني للحياة "
وليكن ما كانَ ، ما عانيتُ منها
محنةَ الصلب وأعيادَ الطغاة .
غير أني سوف ألقى كل من أحببتُ

مَنْ لولاهُمُ ما كان لي
بعثٌ ، حنينٌ ، وتمنِّي
بِي حنينٌ موجع ، نارٌ تدوِّي
في جليد القبر ، في العرق المواتْ ،
بِي حنينٌ لعبير الأرضِ ،
للعصفور عند الصبحِ ، للنبعِ المغنِّي
لشبابٍ وصبايا
من كنوزِ الشمس ، من ثلجِ الجبالْ
لصغارٍ ينثرونَ المرجَ
مِنْ زهوِ خطاهمْ والظِّلالْ(28) .

إن نص الشاعر ينقسم من حيث الدلالة الزمنية إلى قسمين القسم الأول ينتمي إلى سياق محكي حول دلالة الأفعال المضارعة ( ينثر ، انفض ، انقي ، تحتل ، تصرخ ، اصرخ ... ) إلى ماضية إلى أن يصل إلى قوله ( وليكن ما يكن ) ليختم القسم الأول بدلالته الزمنية الماضية وما أن يبدأ قوله ( غير إني سوف ألقى ... ) حتى يبدأ القسم الثاني من السياق الذي يفرغ الأفعال من دلالتها الماضية لتدل على المستقبل القريب فالأفعال ( ألقي ، أحببت ... ) إذ أن دخول لفظ ( سوف ) ضمن سلسلة من الأمنيات التي عكست حنين الشاعر قلبت دلالة الأفعال الوضعية لتتحول إلى المستقبل .

وغالبا ما تجيء القصائد الحديثة التي تحمل معاني الغربة سواء النفسية أو المكانية دلالات زمنية سيميائية تعرب عن موازنة نصية نذكر على سبيل المثال لا الحصر قصيدة ( لن أعود ) للشاعر شاذل طاقة :

سوف أمضي في طريقي

فاتركيني

ودعيني سائراً وحدي ... لقد ضل رفيقي !

شئت أن أذهب وحدي ... فدعيني

أنا قد أقسمت ... بالماضي السحيق !

وبعينيك ... وبالحب الطليق !

لن أعود! ...

سوف لا يسمع هذا الدرب خطوي ...

لا ولن يقلق بعد اليوم ... أجفان السماس ! ...

لقد اخترت طريقي ... سوف أهوي

ظامئ الروح ... إلى قعر الفناء ! ...

والى حبك يا دنيا شبابي ...

لن أعود ...

فلقد أدركت أني ...

كنت اجري خلف أوهام السراب

وقضيت العمر مجنون التمني !

عبد أحلامي الكذاب !

سوف امضي ... صوب هاتيك اللحود ...

والى حبك ... والماضي البعيد ...

لن أعود ...

لقد اخترت طريقي ... فاتركيني

سوف أنسى قصة الماضي الدفين

واماسي ... وما توحي من اللحن الحزين ...

وأحاديث هوانا ... وتهاويل الحنين ...

وخرافاتي ... ووهمي ... وجنوني !

فاتركيني ...

لن أعود ...

وسأحيا ... من جديد !

لن أعود! ... (29)

تظهر على مستوى النص موازنة وصراع بين الماضي والمستقبل البعيد فقد عكس السياق اتجاهين اتجاه يؤكد عدم العودة المتمثل في تكرار لفظة ( لن أعود ) التي وردت خمس مرات نفى بها الشاعر العودة وقلب الفعل إلى المستقبل المطلق وتتأكد لدلالة المستقبلية بتكرار لفظة ( سوف ) التي تكررت هي الأخرى خمس مرات في مقابل هذا الاتجاه نجد الدلالة على المضي ترد ضمن سياق التذكر والاسترجاع الذي يحاول الشاعر التخلص منه كما في ( فقد أدركت ... ، كنت اجري ... ، قضيت العمر ... ) وهذه الألفاظ أكسبت الأفعال ضمن سياقها الدلالة الماضية وعلى ما يبدو من السياق فان هناك صراع على المستوى النفسي والعاطفي وعلى المستوى الدلالي فقد حمل السياق معاني التمرد والثورة على الواقع .

وفي الختام لابد من القول إنَّ الغربة تتمثل بذلك الشعور الإنساني الهائم وراء الوجود وما يرتبط به من قلق وتناقض ونزاعات نفسية وفكرية فضلا عن الشعور المترتب جراء الابتعاد المكاني عن الوطن أي الإحساس بالغربة المكانية نتيجة المسافة التي تفصل الإنسان عن مجتمعه ومعارفه وعالمه ، في مقابل الاغتراب الذي يتمثل في شعور الإنسان بالانفصال والانعزال عن ذاته وعن العالم الخارجي جراء فقدان القيم الإنسانية والاجتماعية والخضوع لواقع لا يؤمن به ،

فكلا الشعورين ليسا ظاهرة سلبية ، بل ضرورة تاريخية حضارية لتقدم الإنسان ومن ثم فهو ظاهرة تاريخية لازمة لتغيير المجتمعات ، والقضاء على التناقضات التي ينطوي عليها بناؤها اجتماعيا وثقافيا .

ولا شك في أنَّ قدرة الأشخاص على معالجة مشاعر الغربة والاغتراب تختلف وتتباين ، وفقاً لتباين طاقاتهم ومواهبهم .

ولعل الشعراء والمبدعين هم من أكثر الناس قدرةً على التعبير عن طبيعة أثر هذه الظاهرة في حياتهم وتجاربهم من خلال انعكاسها وتجسيدها في نتاجاته م الإبداعية فالفن بقدرته التعبيرية يتمكن من كشف جذور الغربة والاغتراب الحاصلة في المجتمع .

والأهم من ذلك قدرة الشعراء على التعبير بالأدوات الفنية والجمالية والتراكيب الفعلية التي تتوافق مع طبيعة الدلالة النصية .

وهذه المشاعر التي قد تبناها الشعراء والتي عكست معاني الغربة والاغتراب سواء المكاني منه أو الاجتماعي أو الثقافي أو الفكري أو النفسي الخ وقع تأثيرها على التراكيب الفعلية داخل السياق فكما أوضحنا ، فان الشعور بالغربة قد يؤسس للشعور بالبؤس وخيبة الأمل التي تلازم حياة الشاعر ويجدها ملازمة له ولن تنفك عنه وهذا نجده في القصائد التي تحولت دلالة أفعالها إلى المستقبل المستمر والمستقبل القريب والبعيد وذلك بفعل النظم وما تداخل عليه من تعالقات كدخول ( مازال ، ظل ، السين ، سوف ، لم ، وأدوات الشرط .. . ) أما الشعراء الذين تناقضت مشاعرهم بين الضياع وأمل العودة والألفة التي عكست التضارب بين الوجود والماهية ، أو كما يصفها " هيدجر " ، عملية تنافر بين وضع الإنسان الفعلي الوجودي وطبيعته الجوهرية فان تجسيده للتعبير يختلف فقد جاءت التراكيب الفعلية ضمن السياق وقد توزعت بين الدلالة الماضية بفعل دخول متعالقات مثل ( كان ، لن ... ) ومن ثم تتداخل رؤية مستقبلية تحفل بالأمل ورغبة في الوجود والتغيير .

وعليه لابد من تأكيد أهمية الدلالة المعنوية للأفعال داخل السياق وارتباطها بمعنى النص ودلالته النفسية والفكرية ( فلا دلالة محددة زمنية للأفعال ) .

فضلا عن ذلك أوصي بالاهتمام بالدراسات اللغوية لاسيما التي تحتاج إلى وقفة إمعان تسهم في إبراز جوانب مضيئة في لغتنا العربية .


**Abstract**

The privacy of research lies in the stand on the potential temporal enjoyed by acts within the context and the impact of

Altaalqat text in emptying the act of significant status, a topic not Alaq attention please by students so applied that privacy on the poetic texts of modern, especially involving the feelings of alienation and longing so to include systems to inform him of the lingual nature affected by actual Baltdakhlat synthetic, as well as psychological vulnerability Pkwamn poet and intellectual .

الهوامش :

(1) الكتاب لسيبويه ، أبي بشر بن عمرو بن عثمان بن قنبر ، ت180هـ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1988م : 17 .

(2) أقسام الكلام العربي ، من حيث الشكل والوظيفة ، د.فاضل مصطفى الساقي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1977م : 82 .

(3) قواعد النحو العربي في ضوء النظم ، د.سناء حميد البياتي ، دار وائل للنشر ، 2003 : 86 .

(4) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : السيد محمد سيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت ، 1981م : 405

(5) مدخل إلى دراسة الجملة العربية ، د.محمود احمد نحلة ، دار النهضة – بيروت ، 1988م : 126 ، وينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، د.تمام حسان ، مصر ، 1973م : 240

(6) الزمن الصرفي والنحوي في اللغة العربية ، فاضل مصطفى الساقي ، مجلة الضاد ، ج3 ، 1990م : 137 .

(7) بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ( مدونة المسعدي – الفارسي – المدني ) المنصف عاشورن منشورات كلية الآداب بمنونة ، 1991م : 99 – 100 .

(8) الزمن واللغة ، مالك ألمطلبي ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، 1986م : 52 .

(9) تحليل الخطاب الشعري ( إستراتيجية النص ) ، د.محمد مفتاح ، دار التحرير

للطباعة والنشر – بيروت لبنان ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ، ط1 ، 1985م : 317 .

(10) الفعل زمانه وأبنيته ، د.إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، 1980م : 24 .

(11) أنشودة المطر : 14 – 15 .

(12) الديوان : م1/ 68 – 69 .

(13) حوار مع غابريل غارسيا ماركيز ، فوربان ، هوبف ، المعرفة ، ع276 ، 185 .

(14) ديوان البياتي ، دار العودة – بيروت ، 1989م : 65 .

(15) م.ن : 99 .

(16) قواعد النحو العربي في ضوء النظم : 359 .

(17) ديوان صهيل في غرفة ، مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب – مصر ، 2002م : 115 .

(18) قصائد مرئية ، المطبعة العصرية – بيروت : 30 .

(19) الديوان ، دار العودة – بيروت ، 1987 مج1 : 596 .

(20) قواعد النحو العربي في ضوء النظم : 63 .

(21) اللغة : ج.فندريس ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1950م : 72 .

(22) الأعمال الكاملة ، دار العودة – بيروت ، 1980م : 234 – 263 .

(23) ينظر تحولات البنية في البلاغة العربية ، د.أسامة البحيري ، دار الحضارة

– مصر ، ط1 ، د.ت : 55 .

(24) الأعمال الكاملة ، دار العودة – بيروت ، 1972م : م1 : 246 – 247 .

(25) م.ن : 170 .

(26) الفن والإنسان ، عز الدين إسماعيل ، دار العلم – بيروت ، 1974 : 160

(27) ديوان غروب بابلي ، علي الشلاه ، منشورات بابل ، المركز الثقافي العربي السويسري ، زيورخ ، بغداد – د.ت : 56 .

(28) ديوان خليل حاوي ، دار العودة ، بيروت ، 1972م : 101 – 105 .

(29) المجموعة الشعرية الكاملة ، شاذل طاقة ، منشورات وزارة الإعلام العراقية – بغداد ، 1977م : 87 – 89 .

**المصادر والمراجع :**

1- أقسام الكلام العربي ، من حيث الشكل والوظيفة ، د.فاضل مصطفى الساقي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1977م .
2- أنشودة المطر ، ديوان شعري ، بدر شاكر السياب ، دار العودة – بيروت .
3- بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ( مدونة المسعدي – الفارسي – المدني ) المنصف عاشورن منشورات كلية الآداب بمنونة ، 1991م .
4- الأعمال الكاملة للشاعر بلند الحيدري ، دار العودة – بيروت ، 1980 .
5- الأعمال الكاملة للشاعر صلاح عبد الصبور، دار العودة – بيروت ، 1972م.
6- الزمن الصرفي والنحوي في اللغة العربية ، فاضل مصطفى الساقي ، مجلة الضاد ، ج3 ، 1990م .
7- الزمن واللغة ، مالك ألمطلبي ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، 1986م .
8- الفعل زمانه وأبنيته ، د.إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، 1980م .
9- الفن والإنسان ، عز الدين إسماعيل ، دار العلم – بيروت ، 1974 .
10- الكتاب لسيبويه ، أبي بشر بن عمرو بن عثمان بن قنبر، ت180هـ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1988م .
11- اللغة : ج.فندريس ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1950م .
12- المجموعة الشعرية الكاملة ، شاذل طاقة ، منشورات وزارة الإعلام العراقية – بغداد ، 1977م .
13- تحليل الخطاب الشعري ( إستراتيجية النص )، د.محمد مفتاح ، دار التحرير للطباعة والنشر – بيروت لبنان ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ، ط1 ، 1985م .
14- تحولات البنية في البلاغة العربية ، د.أسامة البحيري ، دار الحضارة – مصر ، ط1 ، د.ت : 55 .
15- حوار مع غابريل غارسيا ماركيز ، فوربان ، هوبف ، المعرفة ، ع276 ، 185 .

16- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : السيد محمد سيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت ، 1981م .
17- ديوان خليل حاوي ، دار العودة ، بيروت ، 1972م .
18- ديوان صهيل في غرفة ، مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب – مصر ، 2002م .
19- ديوان غروب بابلي ، علي الشلاه ، منشورات بابل ، المركز الثقافي العربي السويسري ، زيورخ ، بغداد – د.ت .
20- ديوان عبد الوهاب البياتي ، دار العودة – بيروت ، 1989م .
21- قصائد مرئية ، سعدي يوسف ، المطبعة العصرية – بيروت .
22- قواعد النحو العربي في ضوء النظم ، د.سناء حميد البياتي ، دار وائل للنشر ، 2003 .
23- مدخل إلى دراسة الجملة العربية ، د.محمود احمد نحلة ، دار النهضة – بيروت ، 1988م .